عرض كتاب

كاهن الطبيعة: العوالم الدينية لإسحاق نيوتن

Priest of Nature : The Religious Worlds of Isaac Newton

تأليف: روب إليفي Rob Iliffe

عرض: جمال ضو

أستاذ بقسم الفيزياء، كلية العلوم الدقيقة، جامعة الشهيد حمه لخضر، الوادي

djsdou@yahoo.com

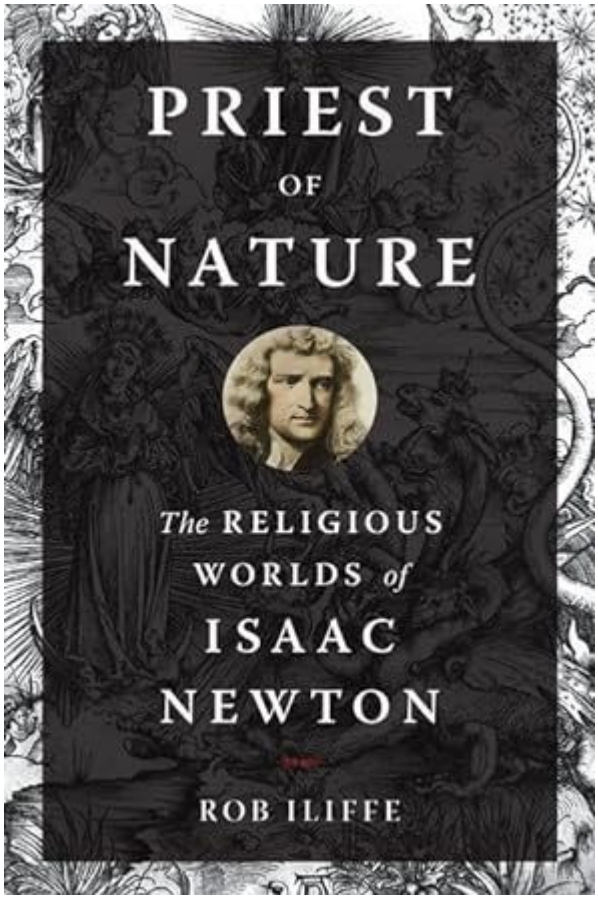

مقدمة

في كتابه الشهير حول أعظم مائة شخصية وأكثرها تأثيرًا في تاريخ البشرية، وضع الكاتب الأمريكي مايكل هارت (Michael Hart) الرسول محمد صلى الله عليه وسلم على رأس القائمة كالشخصية الأعظم والأكثر تأثيرًا، ثم اختار بحسب المعايير التي وضعها، إسحاق نيوتن (Isaac Newton) كثاني أعظم شخصية مباشرة بعد رسول الله، متقدمًا على عيسى المسيح عليه السلام. وبالعودة إلى هذا الكتاب أو غيره من المؤلفات التي تناولت شخصية نيوتن وما يعلمه أغلب

الناس عن هذه الشخصية، فإن الكل يُجمع أن نيوتن بلغ ما بلغه من شهرة ومكانة في تاريخ البشرية نتيجة مساهماته الفريدة في وضع أسس الفيزياء، بل كثيرًا ما يسمى أبو الفيزياء، بالإضافة إلى مشاركته لايبنتز (Leibniz) في وضع أُسس التفاضل في الرياضيات. ويمكن القول إنه بالرغم من الثورتين اللتين أحدثتهما النسبية وميكانيكا الكم في فهمنا للظواهر الفيزيائية إلا أن تأثير المفاهيم التي وضعها نيوتن لا يزال إلى يومنا هذا إما يحكم إدراكنا للظواهر الطبيعية وتفسيرها أو يشوش عليها.

ويعتبر كتاب نيوتن الشهير Principia من أعظم وأهم الكتب عبر التاريخ ومن أكثرها تأثيرًا، حتى وإن لم يعد يُقرأ اليوم من قِبل الفيزيائيين عمومًا، ففيه وُضعت المبادئ والأفكار التي قامت عليها الفيزياء الحديثة عبر مراحل وقفزات متعددة وحلقات متواصلة من مساهمات أعظم العلماء الذين خلّدهم التاريخ بدرجات متفاوتة خلال الأربعة قرون الماضية. إلا أن القارئ غير المطلع بما يكفي قد يُفاجأ إذا علم أن اهتمام نيوتن بالفيزياء والرياضيات وانشغاله بهما لم يشكلا على الأرجح إلا جزءًا من اهتماماته وانشغالاته الفكرية، وربما ليس الجزء الأكبر منها. فبعد الشهرة والمكانة العلمية الفريدة التي حظي بها نيوتن في بريطانيا وأوروبا، تطلّب الأمر ردحًا من الزمن بعد وفاته حتى بدأت بعض آرائه ومواقفه من الديانة المسيحية تخرج إلى العلن وببطء، وبالأخص موقفه من عقيدة "التثليث".

في الحقيقة، شخصية نيوتن هي أربع شخصيات في شخصية واحدة معقدة. فهو عالم فيزياء ورياضيات، وبإنجازاته فيهما نال شهرته وكان له أكبر الأثر. أما الشخصية الثانية فهي عضويته في البرلمان البريطاني ممثلًا عن جامعة كامبريدج وتقلده منصب حارس أو حافظ صك العملة الملكية، وهو المنصب الذي تقلده لثلاثين سنة وناله لمهاراته غير العادية في كشف تزوير العملة لخبرته في المعادن والكيمياء. أما الشخصية الثالثة فهي شخصية الباحث في الخيمياء، والتي كانت له فيها مؤلفات وأبحاث كثيرة أغلبها لم ينشر أثناء حياته. أما الشخصية الرابعة فهي شخصية الباحث في علم اللاهوت والكتاب المقدس، كمجدد وباحث في تاريخ المسيحية وكنيستها وكاهن من طراز خاص جدًا.

مثلما أشرنا، فإن شخصية نيوتن وآراءه الدينية وموقفه من المسيحية ومفهوم التثليث لم تصل إلى العامة وبقيت حكرًا على دوائر ضيقة إلى منتصف القرن العشرين، حيث بدأ قلة من المهتمين بتاريخ العلوم يولون بعض الاهتمام لكتابات وآراء نيوتن الدينية. السبب الرئيس في تأخر الاهتمام بآراء ومواقف نيوتن الدينية يعود إلى أن كتاباته وملاحظاته في هذا الشأن لم تُنشر، وأبقاها نيوتن حبيسة الأدراج أو شارك بعضها مع دائرة ضيقة من أصدقائه الذين يشاركونه الاهتمامات نفسها. ولهذا فهي لم تحظ بالاهتمام الذي تستحقه من طرف الخاصة في البداية، ولثلاثة قرون ساد الانطباع أن كتاباته غير العلمية لم تكن ذات أهمية. ففي سنة 1872 قرر الأيرل الخامس لعائلة بورتسموث (Portsmouth) التبرع بأعمال نيوتن العلمية إلى مكتبة جامعة كامبريدج، وبعد عقدين من التصنيف والفحص للمادة المستلمة تم الاكتفاء بالكتابات العملية لنيوتن وأعيد الباقي إليه. ولهذا عندما قام مؤرخون في الخمسينيات والستينيات من القرن الماضي بفحص مجموعة بورتسموث في كامبريدج، لم يقفوا إلا على ما يكشف عن عبقريته العلمية.

في سنة 1936 تمكّن الباحثون من الولوج إلى مقالات نيوتن في الخيمياء بعد أن بيعت في مزاد سوذبي (Sotheby) على اعتبار أنها من المخلفات غير العلمية لأرشيف نيوتن، والتي كان من ضمنها عدد قليل من مخطوطات وملاحظات نيوتن الدينية. هذه المخطوطات انتهى بها المطاف في كلية الملك (King's College) بكامبريدج، بينما كان جزء مهم من مؤلفات نيوتن الدينية تحت وصاية نيو كوليج (New College) بأكسفورد منذ نهايات القرن التاسع عشر.

أما الجزء الأعظم والجوهري من مؤلفات ومقالات نيوتن الدينية، فقد اشتراها الباحث واللغوي وجامع المخطوطات اليهودي-الفسلطيني إبراهام شالوم يهودا (Abraham Yahuda) من مزاد سنة 1936. ويبدو أن يهودا كان الأول الذي أدرك الأهمية الكبرى لمؤلفات نيوتن الدينية. بعد معركة قضائية مطولة بين ابن أخ يهودا والجامعة العبرية،

وصلت هذه المؤلفات والمخطوطات الدينية إلى القدس سنة 1967، ووُضعت في متناول الباحثين سنوات فيما بعد. هذه المخطوطات هي الآن موجودة في المكتبة الوطنية للكيان الصهيوني (انظر الملاحظة (1)).

لهذا فإن فترة الستينيات من القرن الماضي شهدت بدايات التحول في النظرة الأكاديمية تجاه أهمية أعمال ومساهمات نيوتن في المجال الديني. الفضل في هذا التحول يعود بالأساس إلى عملين ساعدا على تغيير وجهة نظر الأكاديميين والمؤرخين حول الحياة الفكرية لنيوتن. العمل الأول هو كتاب فرانك مانويل (Frank Manuel)، والذي صدر سنة 1963 بعنوان "Isaac Newton: Historian"، والعمل الثاني هو كتاب لم يكن له في الواقع علاقة مباشرة بنيوتن بل بالإيطالي جوردانو برونو (Giordano Bruno) للمؤرخة فرانسيس ييتس (Frances Yates). هذان الكتابان، وإن كانا أماطا اللثام عن جزء من اهتمامات وآراء نيوتن الدينية وأبحاثه وضرورة أن يعاد النظر في تفسيرها وقراءتها، لم يكونا الأولين في الإشارة إلى آراء نيوتن الدينية، ولكن تزامنهما مع سهولة الوصول إلى مخطوطات نيوتن الدينية فتح الباب أمام كتب ودراسات أخرى حول مساهمات نيوتن الدينية. وفي هذا السياق يأتي كتاب "**نيوتن كاهن الطبيعة، العوالم الدينية لإسحاق نيوتن**" للمؤرخ روب إليفي الذي صدر سنة 2017 عن مطبوعات أكسفورد، والذي نود أن نقدم نبذة عنه للقارئ.

1. المؤلف والكتاب في سطور

روب إليفي هو أستاذ تاريخ العلوم بجامعة أكسفورد، ومدير مشروع نيوتن لحوالي عقدين. مشروع نيوتن هو مشروع انطلق في ثمانينيات القرن الماضي، ويعكف على دراسة مخطوطات نيوتن ووضعها في متناول الباحثين على الإنترنت مع تعليقات وشروحات.

هذا الكتاب هو حصيلة جهود كبيرة ومستمرة قام بها هذا الباحث، بداية من فترة إعداده لرسالة الدكتوراه في الثمانينيات حول آراء ومقالات ومساهمات نيوتن الدينية، وتمتد إلى فترة رئاسته مشروع نيوتن بجامعة أكسفورد من 1998 إلى 2015، ليصبح من أهم المختصين الأكثر إلمامًا واطلاعًا على حياة ومساهمات نيوتن الدينية.

الكتاب من ناحية الشكل جاء في حوالي 500 صفحة، منها حوالي مئة صفحة خُصصت للهوامش والملاحظات والمراجع. قسم الكتاب إلى 12 فصلًا، غطت كل مساهمات وآراء نيوتن الدينية وحياته وعلاقته الإنسانية المرتبطة بالأساس بشخصيته منذ طفولته إلى مراحل حياته المختلفة، بناءً على شهادات ومخطوطات ومقالات لنيوتن نُشرت أو كُشف عنها حديثًا وبعضها نُشر خلال عقود ماضية.

2. نيوتن الكاهن: مصلح أم ثائر صامت

مثلما ألمحنا سابقًا، آراء نيوتن ومواقفه الدينية وشخصيته المتدينة جدًا بدأت تتداول في بعض الأوساط عقودًا قليلة بعد وفاته، ولكن في الواقع كان أغلب زملاء نيوتن والمقربين منه في كلية ترينيتي (Trinity College) على علم بأنه كان دارسًا استثنائيًا وجادًا للدين. كما أن سلوكه الظاهر كان يُبين عن شخص مسيحي متدين وورع. فلقد كان نيوتن عضوًا ملتزمًا في الكنيسة البريطانية ويتعبد بشكل منتظم وعلني في كنيسة الجامعة. وبحسب شهادة ابنة أخته غير الشقيقة كاثرين كوندويت (Catherine Conduitt)، كان نيوتن يشعر بالغضب والاستياء كلما سمع سخرية من الدين، وخاصة من طرف صديقيه العالم ريتشارد بنتلي (Richard Bentley) والفلكي الشهير إدموند هالي (Edmond Halley). كما قطع نيوتن علاقاته بصديقه الكيميائي فرانسيس فيجاني (Francis Vigani) بسبب نكتة ساخرة حول راهبة. فالدين كان بالنسبة لنيوتن ليس مجالًا للهزل والسخرية والتنكيت.

لكن سلوك نيوتن العلني والتزامه كمسيحي متصالح مع الكنيسة الرسمية كان في الحقيقة يخفي شخصية أخرى إصلاحية، وبل يمكن أن تعتبر ثورية ومعارضة لبعض الأسس التي قامت عليها العقيدة المسيحية، وهذه الشخصية هي محور كتاب " نيوتن كاهن الطبيعة".

فبالعودة إلى مخطوطات وملاحظات وكتابات ومراسلات نيوتن مع بعض أصدقائه حول عقيدة التثليث، يتبين أن نيوتن كان يعتقد بأن عقيدة التثليث المركزية في المسيحية كانت مجرد عملية تزوير شيطانية، وأن كل المسيحية المعاصرة تم تدنيسها بهذا الاعتقاد. فالمسيح، ابن الله، لم يكن بأي شكل من الأشكال مساويًا للإله أو الرب الأب، بالرغم من أن المسيح كان مقدسًا بحد ذاته ويستحق العبادة بدرجة أقل، فاستحقاق العبادة بالنسبة لنيوتن مسألة نسبية. كما أن شكوك نيوتن في أصول عقيدة التثليث جعلته يصل إلى فقدان الثقة بأفعال المسيحيين الذين أسسوا لهذه العقيدة ألف سنة قبله. بل إن أبحاث نيوتن المستفيضة حول تاريخ المسيحية وأصولها كانت قائمة على فرضية أن إدخال عقيدة التثليث وعدد من الاعتقادات والمسارات الدينية، التي شكلت أسس الكاثوليكية المسيحية، مثلت أكبر وأبشع مؤامرة تاريخية أدت إلى إفساد الدين الحقيقي في صلبه. والسبب، بحسب نيوتن، يعود إلى أن لدى البشر ميولًا نحو الخرافات والغموض والممارسات الوثنية من عبادة البشر والحيوانات والنجوم. هذه الطبائع البشرية لطالما استغلها الكهنة المخادعون والملوك لإبعاد الناس عن عقيدة التوحيد ودفعهم نحو تمجيد ثم عبادة الأموات من البشر.

بالنسبة لنيوتن، فإن جوهر المسيحية هو أنها إيمان بسيط. لتكون مسيحيًا يجب عليك فقط أن تؤمن بأن عيسى هو المسيح الذي تم التبشير به في العهد القديم، وأنه ابن الله الذي مات مصلوبًا وأعيد بعثه في اليوم الثالث. كما أن كونك مسيحيًا ليس مرتبطًا بدرجة أولى بتبني ما يُزعم أنها عقيدة صحيحة، بل بأن تحكم أفعال المرء المبادئ الأخلاقية للمسيحية. ولهذا، فبحسب نيوتن، فإنه كونك مسيحيًا هو أمر صعب ويحتاج مقاومة ومحاربة للمغريات الخارجية والنفس. ففي أحد مقالاته الأخيرة حول نوع العبادة التي ينبغي للكنيسة البريطانية أن تسمح بها، جادل نيوتن بأنه عليها أن تطلب من أعضائها إنكار الوثنية والتباهي والشهوة والفحش، وأن يحافظوا على الوصايا العشر.

المسألة التي شغلت نيوتن أكثر وأخذت ما يقارب نصف قرن من العمل والاهتمام والبحث هي نشأة وتطور عقيدة التثليث وتاريخ الكنيسة. وهنا ينقلنا الكاتب عبر تطور آراء نيوتن وأبحاثه وكتاباته بحسب أحدث ما توفر من مخطوطات ورسائل لنيوتن. يلاحظ المرء أنه كان لنيوتن مواقف مختلفة ومتطورة من كل ركن من أركان هذه العقيدة التي وردت في النصوص الأولى من التسعة وثلاثين نصا الحاكمة للكنيسة البريطانية.

بالنسبة لنيوتن ركن "أن الله هو الواحد الرب الحقيقي وأزلي وغير المادي والقادر ولا متناهي الحكمة والخيّر والخالق وحافظ كل شيء والظاهر والباطن"، هو ركن مقبول. أما ما يرفضه نيوتن فهو ما جاء في بقية النص الأول من أن: هذا الإله هو نتيجة وحدة ثلاث شخصيات، بحيث تصنع وحدتهم "جوهرًا واحدًا وقدرة وسرمدية".

أما الركن الثاني من عقيدة التثليث والذي جاء في النصين الثاني والخامس، فلم يقبل به نيوتن وخلص إلى الاعتقاد بأنه مفهوم شيطاني. فالنص الثاني يحدد مفهوم المسيح على أنه "الابن كلمة الله، وأنه حقيقة مولود الأب من المادة الأبدية نفسها، بالرغم من أنه ورث طبيعة البشر من مريم العذراء، وهاتان الطبيعتان توحدتا بشكل غير مرئي لتشكلا شخصًا واحدًا، والذي منه كان المسيح، إلهًا حقيقيًا وبشرًا حقيقيًا".

أما بخصوص الروح القدس، فلم يول نيوتن اهتمامًا كبيرًا لهذا الركن، ولكن الشاهد أن موقف نيوتن كان رفضًا واضحًا لمفاهيم مفتاحية للمسيحية التقليدية والتي تضفي وحدانية قدرة وجوهر بين الشخصيات الثلاث التي تقوم عليها عقيدة التثليث.

3. نيوتن صاحب رسالة تصحيحية

ما يكشفه كتاب "نيوتن كاهن الطبيعة" هو إيمان نيوتن بأنه ليس مجرد شخص عادي، بل صاحب رسالة تصحيحية ولديه دور خاص ليلعبه من أجل تحديد الدين الحقيقي واسترجاع شكله الأصلي. فبرأي نيوتن، محاولات الإصلاح السابقة لتطهير المسيحية من وثنيتها وما علق بها من عناصر دخيلة لم تكن ناجحة إلا جزئيًا، وأن شكلًا أكثر أصالة للدين يجب أن يُستعاد، وهذه مهمة المصلحين الذين لديهم صفات وميزات خاصة. فدوافع المصلحين لا يجب تكون ناتجة عن مجرد اهتمامات أو لأجل التعلم أو بدافع من سلطة بشرية، بل إن المصلحين هم من أولئك الذين أخلصوا أنفسهم للبحث عن الحقيقة وتجنبوا الكذب والفحش والتباهي والسرقة ولا تحركهم أي غايات دنيوية.

بل إن نيوتن يذهب أبعد من ذلك ليعتبر نفسه - وإن لم يكن بشكل صريح بل ضمنيًا - في مهمة لا تكاد تختلف عن مهمة الأنبياء. فهو يرى أن الأديان كانت دائمًا عرضة للتشويه والتحريف، وكان الأمر يحتاج لأنبياء ورسل بشكل دوري لاستعادة الدين الحق. وفي هذا الإطار جاءت مهمة إبراهيم وموسى والمسيح نفسه الذي أُرسل حسب نيوتن لاستعادة الدين الصحيح.

ما يسلط عليه الكاتب الضوء أيضًا في ثنايا الكتاب ويبرزه هو تمييز نيوتن بين منهج مقاربة القضايا العلمية (الفلسفة الطبيعية) ومقاربة الأديان أو القضايا العقائدية. ففي مقاربته للقضايا العلمية وضع نيوتن خطًا فاصلًا بين ما يمكن برهانه رياضياتيًا بيقين وما يمكن اعتباره مجرد حدس أو فرضية (مثل نظم أرسطو وديكارت وكل ما يفتقد لدليل أو شواهد تجريبية). أما في مقاربته للقضايا والمسائل الدينية، فإن نيوتن يؤكد أنه وبالرغم من عدم إمكانية إثبات الحقائق الدينية، إلا أنه يجب التمييز بين ما هو مكتوب حقًا في الكتاب المقدس وما تم إضافته نتيجة للترجمة الخاطئة أو الإضافات البشرية المتعمدة. لهذا، فإن نيوتن بذل جهدًا كبيرًا في محاولة التمييز والتصحيح والفرز، مقدّمًا رأيه في أكثر القضايا حساسية، مثل العقاب والخطيئة والروح والبعث، إلخ. كما استثمر معارفه العلمية وقدراته التقنية الاستثنائية ليعيد النظر في تاريخ الكنيسة وترتيب الأحداث الواردة في أناجيل الكتاب المقدس.

4. هل كان نيوتن موحدا؟

السؤال الذي قد يطرحه أي قارئ وُيتداول كثيرًا، خاصة في أوساط المهتمين المسلمين، هو: هل كان نيوتن موحدًا فعلا؟

في الحقيقة، من الصعب أن نجد إجابة واضحة في هذا الكتاب أو في غيره من وجهة نظرنا، ولهذا نترك الأمر للقارئ ليحكم بنفسه. ولكن نشير إلى أنه من خلال قراءة متأنية لآراء نيوتن أو طريقة تقديمها من الكاتب، فإن نيوتن بقي يضفي نوعًا من القدسية على المسيح ويرفعه فوق مقام الأنبياء والرسل، ويجعله مستحقًا لنوع من العبادة، بالرغم من أنه في الوقت نفسه جعل مهمة المسيح مثلما أشرنا من مهمة موسى وإبراهيم وغيرهم من الرسل الذين بُعثوا لاسترجاع العقيدة والدين الصحيحين! من ناحية أخرى، خلص نيوتن في أحد كتاباته إلى أن "يهوه هو الإله الوحيد" (يهوه هو اسم الله في التوراة والعهد القديم)، ولكن مثلما أشرنا، فإن هذه الإشارة وحدها لا تكفي لأن نطلق على نيوتن موحدًا، على الأقل من منظور فهم المسلمين للتوحيد.

فنيوتن، وبالرغم من إدراكه حجم التزوير والتعديل والاختلاق الذي حصل في الكتب المقدسة، كان مصدره العقائدي ومنطلق نقاشه لمفهوم عقيدة التثليث ومدى تناسقها مع العقيدة الصحيحة هو الكتب والنسخ المختلفة للكتاب المقدس (العهد القديم، التوراة، الإنجيل). ولهذا، فليس من المستغرب أن تبقى آراء نيوتن غير حاسمة في هذه المسألة، بل ربما متناقضة تناقض هذه النصوص. ففي نصوص الكتاب المقدس(الأناجيل)، نجد أن المسيح هو كلمة الله وروح منه، مثلما جاء في القرآن الكريم، ولكن في تفاسير ونصوص أخرى يتغير المفهوم، نتيجة الترجمة والتحريف وسوء التفسير،

ليرفع إلى مراتب أخرى ويصبح جزءًا من الإله. وربما طريقة تناول نيوتن لقصة عبادة بني إسرائيل للعجل وعودتهم السريعة إلى الوثنية بعد ذهاب موسى إلى الجبل للقاء ربه، تعطي صورة عن صعوبة الوصول إلى الحقيقة انطلاقًا من نسخ الكتب المقدسة. فنيوتن اعتمد على نصوص توراتية محرّفة تقول إن العجل من صناعة هارون عليه السلام، ولا يجد فيها المرء ذكرًا للسامري. ولهذا فإن نقاش الكهنة والعلماء ومن بينهم نيوتن لمسألة غضب موسى عليه السلام من أخيه هارون ومدى مسئولية هذا الأخير عن انحراف بني إسرائيل كانت قائمة على رواية خاطئة تنسب فعل صناعة العجل إلى هارون.

ربما ما يمكن أن نخلص إليه هو أن أحد أسباب عدم نشر نيوتن لكتاباته وآرائه الدينية لم يكن فقط خشيته من عقوبة الكنيسة وما قد يترتب على ذلك، بل قد يكون لقناعته أن آراءه وخلاصة أبحاثه ليست بالصورة المكتملة التي تستحق أن يعلن عنها وينشرها.

الخاتمة

بالرغم من أن كتاب "نيوتن كاهن الطبيعة" ليس الأول الذي سلط الضوء على حياة وأفكار نيوتن ومقالاته وآرائه الدينية، إلا أنه يُعتبر الكتاب الأحدث والأكثر إلمامًا ومنهجية في التعرض لهذا الموضوع، معتمدًا بالأساس على أحدث ما نُشر من مخطوطات ومقالات نيوتن خلال هذا القرن. كما ينقلك الكاتب إلى تاريخ تشكل الكنيسة المسيحية وصراعاتها ومساهمات العديد من المصلحين والعلماء والكهنة عبر التاريخ، وما ساد من آراء حول التثليث في الكتب المقدسة، ليس فقط في العهد الذي تلا المسيح عليه السلام، بل من عهد الإغريق أيضًا. لهذا فالكتاب يعتبر مرجعًا موسوعيًا يكاد يغني المهتم عناء الاطلاع على ما كتب سابقًا في هذا الشأن.

إن هذا الكتاب وغيره مما نُشر من مخطوطات وكتابات يكشف أن نيوتن لم يكن فقط أحد أعظم علماء الطبيعة الذين عرفتهم البشرية، أو أعظمهم، بل كان مفكرًا وعالم دين ومصلحًا، ربما ثوريًا، قل نظيره، بل فيلسوفًا عمليًا وعميقًا. وربما لو نُشرت مقالاته وآراؤه وتسربت إلى العامة أثناء حياته لكان لها الأثر العميق في مسار الديانة المسيحية، ولكن جو اللاتسامح من طرف الكنيسة الذي عاش خلاله نيوتن، وأيضًا شخصية نيوتن نفسها التي كانت تتميز بالريبة والشك والغموض وعدم الرغبة في نشر أغلب آرائه وكتاباته - بما فيها العلمية - حولت مساهماته الدينية الاستثنائية إلى مجرد أرشيف يعكس عظمة الرجل وتفرده من دون أي أثر ملموس على الحياة الدينية والكنيسة البريطانية والمسيحية بشكل عام.

****

ملاحظة على هامش العرض

قضية إبراهام شالوم يهودا والحكم القضائي الذي وضعت بموجبه إسرائيل اليد على تركة إبراهام يهودا من مخطوطات، والتي شملت بالإضافة أيضًا مجموعة من أندر المخطوطات الإسلامية العربية والعثمانية الثمينة في شتى أنواع العلوم، عمر بعضها عشرة قرون، قضية تحتاج شيئًا من التوضيح.

1) إبراهام شالوم يهودا هو يهودي-فلسطيني من أصول عراقية، وُلد وتلقى تعليمه الأولي في القدس، ليكمل تعليمه في ألمانيا وتستمر حياته بين ألمانيا وبريطانيا وإسبانيا وأخيرًا أمريكا كأستاذ باحث. وهو عالم موسوعي ونابغة في اليهوديات والتاريخ العربي الإسلامي، ولغوي متبحر وجامع نهم للمخطوطات. التقى في شبابه بتيودور هرتزل وحضر الملتقى الصهيوني الأول، ولكنه سرعان ما أعلن معارضته للمشروع الصهيوني واختلافه مع هرتزل ومشروعهم وابتعد عنهم، رافضًا مقاربة اليهود الأوروبيين لعلاقتهم بالعرب، معتبرًا إياها عدوانية وتتناقض مع

قناعته بضرورة التعايش وإحياء حقبة التعايش العربي-اليهودي في الأندلس التي مثّلت ليهودا النموذج الذي طالما حلم به. خلافه مع الصهاينة الأوروبيين أو الأشكناز ومقاربتهم أدت إلى اتهامه من قِبلهم بأنه يريد أن يذيب الثقافة اليهودية في الثقافة العربية. كما ألّف يهودا كتابًا بعنوان "محاكمة أخطاء الدكتور وايزمان" صدر سنة 1952، ردًّا على كتاب وايزمان أول رئيس للكيان الصهيوني، "المحاولة والخطأ". أما علاقته مع الفلسطينيين من مسلمين ومسيحيين والعرب عمومًا، فربما تلخصها من ناحية قصيدة الشاعر معروف الرصافي التي كتبها مدحًا في إبرهام يهودا بعد محاضرته عن العصر الذهبي لليهود في الأندلس كنموذج للتعايش والتي ألقاها سنة 1920 في القدس. وفي المقابل نجد قصيدة هجاء وديع البستاني ليهودا ومعروف الرصافي، فوعد بلفور كان حاضرًا في أفئدة كثير من المثقفين العرب حتى قبل قيام إسرائيل.

2) قبل وفاته بسكتة قلبية مفاجئة، كان يهودا قد جمع ما بقي من مقتنياته من مخطوطات (كان قد باع جزءًا من المخطوطات الطبية العربية للجيش الأمريكي والبعض الآخر لجامعات أمريكية)، دون أن يحدد الوجهة التي كان سيهبها هذه التركة. زوجة يهودا التي ورثت التركة تم إقناعها (بحسب الرواية الإسرائيلية) بأن تترك وصية تهب بموجبها التركة للجامعة العبرية تكريمًا لإسرائيل، لكنها توفيت بعد ثلاث سنوات ولم تكتب هذه الوصية! بعد وفاة زوجة يهودا، رفض ابن أخ يهودا أن يهب هذه التركة للجامعة العبرية. وهنا دخلت القضية ساحات المحاكم لتنتهي بعد سنوات في المحكمة العليا التي قضت سنة 1966 بأن التركة من حق الجامعة العبرية بحكم أن زوجة يهودا سبق وأن عبّرت علنًا عن نيتها وهب تركة زوجها من المخطوطات للجامعة العبرية. وبهذه الطريقة المريبة في الواقع، وضع الكيان الصهيوني يده على أحد أهم وأثمن وأندر المخطوطات العربية الإسلامية، بلغ عددها 1400 مخطوطة، حيث اعتبرتها المكتبة الوطنية الإسرائيلية أثمن ما حصلت عليه المكتبة في تاريخها. هذه القضية وشخصية إبراهام يهودا نرى أنهما بحاجة للبحث والدراسة وتسليط الضوء عليهما من طرف المهتمين بتاريخ العلوم العربية الإسلامية.

مؤلف الكتاب روب إليفي Rob Iliffe